Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 7, Issue 6 (2023) • P: 181 - 161
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

# A Critical Reading of the Major Introductions to understanding the West and its Determinants
## A systematic attempt to establish the Occidentalism

**Prof. Abdul Aziz Fodil BOUCHAIR**
College of Sharia and Fundamentals of Religion | King Khalid University | KSA
Faculty of Humanities and Social Sciences | University of Mohamed Lamine Debaghine Setif 2 | Algeria

**Received**: 26/02/2023
**Revised**: 06/03/2023
**Accepted**: 19/03/2023
**Published**: 30/06/2023

* Corresponding author: abouchair@kku.edu.sa

**Citation:** BOUCHAIR, A. F. (2023). A Critical Reading of the Major Introductions to understanding the West and its Determinants: A systematic attempt to establish the Occidentalism. *Journal of Humanities & Social Sciences, 7(6),*161–181. https://doi.org/10.26389/AJSRP.R260223

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

**Abstract:** The subject of the research is one of the civilizational studies that investigates the subject of the West and seeks to establish the science of Occidentalism. This is with the aim of asking about the major introductions to study it and analyze its general determinants that we should adopt in study and understanding, in order to reveal the relationship between the West as a cognitive and behavioral system and its colonial tendency that it practiced on the world. Through it, we discuss the arrogant psychological characteristics that distinguished the Western man, and how he ruled the world with his thought, and his vision of the world that determined his attitudes towards the other and was reflected in his relationships and behaviors in reality. In addition to clarifying the impact of all this on the world in terms of disrupting its civilized renaissance and exploiting its material and human wealth, and directing the movement Individuals and peoples in the direction that the West wants, in a way that guarantees its interests and meets its needs.

We relied on the analytical and critical approaches in our study of this topic. We came up with the following conclusions and recommendations: the need to identify the major introductions to studying the West and analyzing it critically, and to clarify its general determinants, such as the colonial and psychological determinants, and their consequences in the history of the modern and contemporary world. In addition to the need to build curricula for getting to know the West and how to overcome, it in order to avoid the causes of its weakness and the factors of its decline, and the conscious endeavor to open alternative paths to it based on new models in thought, method and life.

**Keywords:** the west, Occidentalism, major introductions colonial determinant, psychological determinant.

# قراءة نقدية في المداخل الكبرى لفهم الغرب ومحدّداته
## - محاولة منهجية في تأسيس علم الاستغراب-*

**الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز بن فضيل بوالشعير**
كلية الشريعة وأصول الدين | جامعة الملك خالد | المملكة العربية السعودية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية | جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 | الجزائر

**المستخلص:** يندرج البحث في سياق الدراسات الحضارية التي تبحث في موضوع الغرب من جهة، ومحاولات منهجية لتأسيس علم الاستغراب من جهة أخرى، نتساءل عن المداخل الكبرى لدراسة الغرب وتحليل محدّداته العامة التي ينبغي أن نستحضرها في دراستنا له، بغية الكشف عن العلاقة بين الغرب ونزعته الاستعمارية التي مارسها على العالم، والوقوف على الخصائص النفسية التي امتاز بها الإنسان الغربي، وتحكّمت في فكره ومواقفه وانعكست على علاقاته وسلوكياته، وبيان أثر ذلك كلّه على العالم؛ من تعطيل لنهضته الحضارية واستغلال لثرواته المادية والبشرية وتوجيه لحركة الأفراد والشعوب في الاتجاه الذي يريده الغرب بما يضمن مصالحه ويلبي حاجياته. وقد اعتمدنا في دراستنا للموضوع على المنهجين: التحليلي والنقدي، وانتهينا إلى جملة من النتائج والتوصيات. منها الحاجة إلى تحديد المداخل الكبرى في دراسة الغرب، وبيان المحدّدات العامة له، كالمحدّد الاستعماري والنفسي وما ترتب عنهما في تاريخ العالم الحديث والمعاصر، مع ضرورة بناء مناهج التعرّف على الغرب وكيفيات تجاوزه لتلافي أسباب ضعفه عوامل انحطاطه والسعي المبصر لفتح لدروب بديلة جديدة في الفكر.

**الكلمات المفتاحية:** المداخل الكبرى، الغرب، المحدّد الاستعماري، علم الاستغراب، المحدّد النفسي.

* هذا البحث تم دعمه من خلال البرنامج البحثي العام بعمادة البحث العلمي بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية بالرقم" G R P 43/104.

## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ لقد كان الاستغراب منذ أكثر من نصف قرن موضوعا للجدل والنقاش والانتقاد في دائرة الفكر العربي والإسلامي، انطبعت كثير من النصوص التي كتبت حوله بالتنوّع والتعدّد حينًا، وبالالتباس وعدم الوضوح في الرؤية والمنهج والمقصد حيناً آخر. اضطربت دراسات الباحثين الراغبين في معرفته وفهمه والسعي إلى دراسته في أصوله الفكرية والفلسفية وتحديد مساراته ومناهجه ومنجزاته ومآلاته، من خلال مصادره وبدايته ونهايته كما قال حسن حنفي في كتابه "مقدمة في علم الاستغراب"، (حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، 1991)حيث تراوحت الدراسات بين المنتقدين له الساعين إلى الكشف عن قصوره وأخطائه وانحرافاته في التاريخ الحديث والمعاصر، والمقلّدين له المنبهرين بإنجازاته الحضارية، بالنظر لما امتاز به الغرب من قوة في عرض أفكاره وعمق في طرح نماذجه وثراء في منهج تفكيره وتدبيره، وانسجام وتناغم في هندسة عمرانه. ونتيجة لما شكّله الغرب حول نفسه من خطاب فلسفي وعلمي وأدبي يصعب جدا تجاوزه أو التحرّر من سيطرة نماذجه وتأثير أفكاره على النفوس والعقول و وتوجيه السلوك والعمران، وبما أشَتهر به من سلطة المفاهيم وهيمنة المناهج وتغلغل الرؤى في بنية الوعي العربي الإسلامي المعاصر، من هنا صار لزاما علينا التوجّه إلى دراسة الغرب بغية فهمه وتحليل عناصر ومكوّنات حضارته من الداخل، نسائل طبيعتها الجوهرية، ونتفحّص حدودها وملامحها بالتزام متعاطف وحياد نقدي كما قال ضياء الدين سردار؛ الفحص الذي يجعلنا نحدّد المداخل الكبرى لدراسة الغرب وفهمه، خاصة وأنّ المداخل التي تساعدنا على ذلك كثيرة ومتنوعة.

من هذه المداخل؛ ما يتعلق بسؤال تبرير الاهتمام بالغرب كأفراد أو مؤسّسات ومراكز بحث، ولماذا تأخرنا في محاولة فهمه واستيعابه ونقده؟ في مقابل المدخل الذي ينطلق من سؤال التقدّم الذي أحرزه الغرب وحضارته، طبيعة أفكاره، نماذجه المعرفية رؤيته للعالم، منظومته العلمية، وجهته الحضارية، وحدوده الفكرية والمنهجية. (عبد العزيز بوالشعير، 2023) في حين يمكننا الولوج إلى موضوع علم الاستغراب من المدخل الذي يعتبر الغرب هو الأكثر فاعلية وحضورا في الواقع العالمي، فهو الذي يبسط نفوذه في العالم ويدير شؤونه ويتحكّم في مساره وأحداثه. بمعنى أن دراستنا للغرب لا تكون من مدخل واحد فقط، فهذا لا يعطينا صورة شاملة عنه، بقدر ما يجعل دراستنا جزئية او اختزالية له، من هنا نرى بأن تعدد المداخل في دراستنا للغرب طريقة منهجية سليمة في فهمه واستيعابه ومن ثم نقده وتجاوزه.

### ثانيا: إشكالية البحث وتساؤلاته:

تتناول إشكالية البحث المداخل الكبرى لدراسة الغرب وتحاول التأسيس لعلم الاستغراب وبعرض محدّداته المعرفية والمنهجية تناولا تحليليا نقديا، تناقش فيه مسوّغات الاهتمام بدراسة بالغرب، في ظل تعدّد المداخل واختلافها بين الباحثين والدارسين لهذا الموضوع، وتطرح منهجية دراسته لتقف على أهم الانتقادات التي وجّهت له. فهل نعتمد مدخلا واحدا في دراسة الغرب أم نعتمد مداخل متعدّدة؟ وما هي المحدّدات المعرفية لدراسته؟

والإجابة على هذه الإشكالية يقتضي منا طرح التساؤلات الفرعية التالية:

1- ما هي المداخل الكبرى لدراسة الغرب؟
2- ما هي المحدّدات العامة التي تمكّننا من دراسة الغرب وفهمه؟
3- ما هي الانتقادات التي وُجهت للمحدّدين الاستعماري والنفسي اللذان طبعَا الغرب؟

### ثالثا: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يتناول بالتحليل والنقد موضوع الغرب من جهة، وموضوع التأسيس لعلم الاستغراب من جهة ثانية، بحيث تقدم للباحثين والمهتمين بهذا الموضوع المداخل الكبرى لفهم الغرب والسعي لدراسته

دراسة علمية ونقدية استنادا إلى النصوص التي كتبت حوله، كما يعرض البحث المحدّدات العامة التي تساعدنا في معرفة الغرب معرفة صحيحة وعميقة بعيدا عن التحيّزات الحادة للخلفيات الفكرية والإيديولوجية التي تحكم دراستنا له.

**رابعا: أهداف البحث:**

نهدف في بحثنا هذا إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- التعرّف على المداخل الكبرى لدراسة الغرب.
- عرض المحدّدات العامة في فهم الغرب ودراسته.
- نقد ومناقشة المداخل والمحددات العامة لدراسة الغرب.

**خامسا: الدراسات السابقة**

توجد دراسات وأبحاث عديدة تناولت الغرب من جهة، وحاولت التأسيس لعلم الاستغراب من جهة ثانية، نذكر منها:

1- كتاب "مقدمة في علم الاستغراب" للمفكر حسن حنفي(1937-2021)، وقد عرض فيه مبررات الدعوة إلى تأسيس علم الاستغراب. أجاب فيه عن سؤال: ماذا يعني علم الاستغراب؟ ضمن مشروعه الفكري التراث والتجديد. الذي حدده في جبهات ثلاث: الموقف من التراث القديم، الموقف من التراث الغربي، و الموقف من الواقع. ويأتي علم الاستغراب ضمن جبهة موقفنا من التراث الغربي وهي التي تضع الأنا في مواجهة الآخر المعاصر وهو الوافد الثقافي الغربي، وقد لخّصه حنفي في ثلاث نقاط أساسية:

- مصادر الوعي الأوروبي
- بداية الوعي الأوروبي
- نهاية الوعي الأوروبي.
- وقد حدّد حنفي أهداف علم الاستغراب في الآتي:
- فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر.
- رد الغرب إلى حدوده الطبيعية.
- إفساح المجال للإبداع الذاتي للشعوب غير الأوروبية وتحريرها.

والنتيجة التي انتهي إليها حسن حنفي في الكتاب هي:

ضرورة قلب معادلة المركز والأطراف؛ أي الانتقال من نقل الغرب إلى إبداع الاستغراب.

انتقال الحضارة من الغرب إلى الشرق، بمعنى عودة الأنا إلى صناعة الحضارة ببناء وعيها من جديد من خلال إعادة الشعور الإسلامي_ العربي إلى وضعه الطبيعي والقضاء على اغترابه. وإعادة ربطه بجذوره القديمة. (حنفي، 1991)

2- "جذور علم الاستغراب، وقفة مع الرد على المنطقيين لابن تيميةّ، للدكتور محمود ماضي، طبع سنة 1996م، بدار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع بالإسكندرية. بيّن فيه الباحث جذور هذا العلم انطلاقا من كتابات ابن تيمية عن الفلسفة اليونانية ونقده للمنطق الأرسطي، فجاء ربطه بين نقد ابن تيمية للفلسفة والمنطق وإرهاصات وجذور علم الاستغراب. لخّص فيه منهجية المسلمين في تعاملهم مع الحضارة اليونانية وتتمثل في نقطتين أساسيتين:

1. نقد الوافد وبيان محليته وارتباطه ببيئته.
2. رفض الوافد كلّية على أساس عدم الاحتياج إليه والاكتفاء بنص الأنا. (محمود، 1996م) والملاحظ على هذه الدراسة تركيزها على مسألتين فقط:

- المسألة الأولى: نقد المنطق الأرسطي.

- المسألة الثانية: وجهة نظر ابن تيمية.

3- بحث لنا بعنوان: "مساءلات نقدية في دراسة الغرب محاولة منهجية في تأسيس علم الاستغراب" (بوالشعير، 2023)صدر في العدد 67، شهر فبراير 2023م، في مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية بجامعة الأندلس، صنعاء- جمهورية اليمن. تلخّص مضمون البحث في محاولة الكشف عن القواعد المنهجية التي تمكّننا من فهم الغرب وتفسيره والإجابة عن سؤال: كيف ندرس الغرب؟ من خلال التطرق لبعض التساؤلات الفرعية وهي:

1. ما هي الأسئلة الكبرى التي تعيننا على دراسة الغرب؟
2. كيف نحلل جدلية حضور الغرب وغيابه عن وعينا الفلسفي؟
3. ما هي مسوغات الاهتمام بالغرب ولماذا تأخرنا في دراسته؟
4. ما هي ملامح الصورة التي رسمها الدارسون عن الغرب وهل هي كافية للكشف عن حقيقته؟
5. ما المنهج المناسب لفهم وتجاوز جدلية المركز والهامش التي صنعها الغرب عن ذاته؟
6. كيف يبرّر الغرب صور وأشكال هيمنته على العالم، وما هي فرضيات تجاوز هذه الهيمنة، وهل هناك بدائل ناضجة عنه؟

**تعليق على الدراسات السابقة**

يعتبر بحثنا هذا تكملة للأبحاث السابقة، ركزنا فيه على المداخل الكبرى في فهم الغرب ودراسته، من خلال مُحدِّدين أساسيين في منهجية الدراسة والتأسيس لعلم الاستغراب وهما: المحدّد الاستعماري الذي يفسّر لنا مبرّرات هيمنة الغرب وسيطرته على العالم واستعماره، والمحدّد النفسي الذي يفسّر لنا سلوك الغرب ومواقفه وتصرّفاته تجاه العالم بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة، وهذه بنظرنا هي الإضافة التي يقدّمها هذا البحث إلى الدراسات والأبحاث السابقة على أهميتها وأسبقيتها في طرح موضوع الاستغراب، وهي محدّدات لم تلق حظها من التحليل والدراسة في الدراسات السابقة سواء في الفهم أو في التأسيس الإبستيمولوجي لعلم الاستغراب.

**سادسا: منهج البحث**: نعتمد في هذا البحث على جملة من المناهج بحسب الموضوعات التي تناولناها، والأهداف التي نروم تحقيقها، وهي كالآتي:

- **المنهج الاستقصائي**: نستقصي فيه أهم النصوص التي تناولت الغرب بالدراسة والفهم، وبيان أهميتها في تأسيس علم الاستغراب.
- **المنهج التحليلي:** نعرض فيه ونحلّل النصوص والأقوال التي وردت في الكتابات التي تناولت الغرب بالدراسة سواء من داخل النسق الغربي أو من خارجه.
- **المنهج النقدي:** نقوم فيه بقراءة نقدية للمداخل الكبرى لدراسة الغرب ومناقشة المحددات العامة في فهمه وتفسيره، انطلاقا من النموذج المعرفي العربي الإسلامي البديل عن النموذج المعرفي الغربي.

**سابعا: تقسيمات البحث: قسّمنا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.**

مقدمة

المبحث الأول: المداخل الكبرى لدراسة الغرب.

المبحث الثاني: المحددات العامة لدراسة الغرب وفهمه.

خاتمة.

## المبحث الأول: المداخل الكبرى لدراسة الغرب

تناولت الكثير من الدراسات الغرب بالتحليل والتفسير والتأويل، تارة من منطلق التأثر بما وصل إليه من منجزات مادية ونتاجات فكرية وعلمية كان من نتائجها "انبهار الفكر الاسلامي الحديث بالغرب وأخذه كنموذج للتحديث من حيث الصناعة والتعليم والنظم البرلمانية والدستورية والعمران"[1] وتارة من منطلق ما آل إليه من تأزّم معرفي وقيمي واختلال منهجي وسلوكي، كان من نتائجه " أن يكون ناقدا للغرب في دهريته وإباحيته ودنيويته..."(حسن، 1991) ولعل خير من مثل هذا النقد للغرب في الفكر العربي الاسلامي المعاصر **المفكر عبد الوهاب المسيري** في معظم كتاباته التي تناولت الغرب بالدراسة والتحليل والنقد، من خلال التركيز على المقاربة المعرفية للحداثة الغربية ونقد نماذجها المعرفية المادية بالأساس. (المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، 2006) توسّلت هذه الدراسات في موضوع الغرب بجملة من المناهج والأدوات المنهجية والمعرفية، فجاءت متحيّزة بشكل كبير إلى هذه الرؤية أو تلك، من دون الغوص في طرح التساؤلات العميقة التي ينبغي أن يطرحها كل دارس للغرب خصوصا أولئك الذين ينتمون إلى دوائر حضارية شرقية من جهة أو عربية إسلامية من جهة أخرى. وفي مقدمة هذه التساؤلات لماذا الاهتمام بالغرب؟ ولماذا يهيمن علينا اليوم؟(إيان، 2018)ولماذا ننخرط في الدرس الفلسفي الذي يجعل من الغرب موضوعا له؟ وبأية آلية نبني هذا الدرس؟ وما هي حدوده الموضوعية؟ وما الذي يسوّغ لنا الاشتغال على هذا الموضوع المسمّى بدراسة الغرب أو بالتأسيس المنهجي لعلم الاستغراب؟ هل نكتفي بدافع الرد على المركزية الأوروبية، وضرورة التحول من النقل إلى الإبداع كما يقول حسن حنفي؟ وهل يسمح لنا تأسيس هذا العلم بالقضاء على أسطورة الثقافة العالمية، باعتبارها حضارة ممثّلة للحضارات البشرية؟ جميعا. (حسن، مقدمة في علم الاستغراب، 1991)

ثمة مداخل ننطلق منها في محاولتنا لتأسيس هذا العلم وفي تحديدنا لموضوعه ولمَ لا لمنهجه ومقاصده. ذلك أنّ بعضهم يسوّغ اهتمامه بهذا الموضوع انطلاقا من مدخل التقدّم الذي أحرزه الغرب وحضارته، محاولا بذلك الإجابة عن سؤال التقدّم، وخاصة في بعده الخطي كما يقول فلاسفة التاريخ والحضارة الغربيين، وبالتالي بأيّ معنى نتحدّث عن التقدّم في الغرب؟ هل بالمعنى الذي يحقّق أو يلبّي حاجات الانسان الغربي ويضمن مطامحه ورغباته الماديّة ويضمن له مستوى عاليا من الرفاه المادي والدنيوي ولو كان ذلك على حساب الغير؟ أم التقدّم المحدود الأفق المصطدم بجملة من العوائق المعرفية والمنهجية التي تحول دون جعله مسارا خطيا خير منه؟ بخلاف ذلك، يرى البعض الآخر أنّ مسوّغ دراستنا للغرب إنما يكون من منطلق أننا متخلّفون؟ وبالتالي يسعى إلى الإجابة عن سؤال التخلّف والانحطاط الذي تعيشه الذات الحضارية وما فتئت تطرحه منذ أكثر من قرنين من الزمن؛ متسائلة بذلك عن سرّ هذا التخلّف وباحثة عن سننه، بمعنى هل تخلّفنا عن الآخر يسوّغ لنا الاهتمام بالغرب وبتقدّمه ومحاولة الاستفادة من تجربته؟ ولماذا لا نهتم بتقدّم أمّتنا أو حضارتنا في الماضي؟ أو بمعنى آخر؛ لماذا لا نتحدّث عن تخلّفنا عن نموذجا المعرفي والحضاري الذي كان في الماضي أو الذي ينبغي أن يكون عليه في الحاضر والمستقبل دون الاهتمام بالغرب وحضارته؟

من زاوية أخرى؛ هناك من ينطلق في اشتغاله بدرس الاستغراب من مدخل كون الغرب الأكثر فاعلية وحضورا في الواقع العالمي، متخذا من سؤال الهيمنة والتسلّط مدخلا للولوج إلى علم الاستغراب، الذي يعتبر أنّ الغرب هو الذي يحقّق معاني الشهود والحضور في العالم على جميع المستويات، وهو الذي مسّ معظم مناحي حياة البشر، إنه يصنع السياسة العالمية ويوجهّا، وينتج العلوم والمعارف ويتحكّم في التكنولوجيا. ويهيمن على شبكة الاتصال والمعلومات في العالم، "وقد كان باستمرار حاضرا في وعينا القومي وفي موقفنا الحضاري منذ قدماء اليونان حتى محدثي الغرب"(حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، 1991) فهل يكفي سؤال الهيمنة للمشتغلين كمسوّغ للاهتمام بهذا الموضوع أم أنّ "أحد أسباب اهتمام الناس بسؤال لماذا يهيمن الغرب هو أنهم يريدون معرفة ما إذا كانت تلك الهيمنة ستستمر، ومدة استمرارها وكيفية استمرارها، أو بشكل آخر: ما الذي سيحدث بعد ذلك؟" (موريس، 2018)ويعبّر عن مضمون هذا تساؤلا آخر يتلخّص في الآتي: "إلى متى سيظل الغرب في القمة؟" (موريس، لماذا يهيمن الغرب؟، 2018) فاختلفت إجابات

المفكرين داخل الغرب وخارجه حول: " لماذا كان الغرب مهيمنا؟ وأنتجوا مجموعة محيّرة من التنبؤات والنظريات. إنّ أفضل طريقة للشروع في السؤال عن سبب هيمنة الغرب هي: فصل هذه النظريات إلى مدرستين فكريتين إجماليتين، واللتين سأسميهما:)(نظريات المدى الطويل الحتمية)، و(نظريات المدى القصير العرَضية)...كانت كل التعليلات لهيمنة الغرب تتفاوت في إطار نظرية(المدى الطويل الحتمية). وكانت النتيجة الأكثر شهرة هي أنّ الأوروبيّين ببساطة يتفوّقون على الجميع حضاريا...ولكن في محاولة لشرح السبب الذي من أجله يهيمن الغرب الآن، تصوّر بعض المفكّرين من القرن الثامن عشر أصلا بديلاً للأوروبيّين، ويجادلون بأنه منذ ألفين وخمسمائة عام مضت أنشأ الإغريق حضارةً فريدةً، ذات منطق وابتكار وحرية، وقد وضع ذلك أوروبا على مسار مختلف و(أفضل)من بقيّة العالم." (موريس، لماذا يهيمن الغرب؟، 2018) لكن المتمعّن في ذلك، لا ينبغي أن ينسى معرفة مدى حقيقة هذه الفرضية، ومستوى تحقّقها واستمرارها في التاريخ، في ظل منطق الصراع الحضاري الذي يطرحه **صمويل هنتنغتون (Sammuel Huntington)** (1927م، 2008)، أو منطق التدافع بين الحضارات وتعارفها وحوارها كما يطرحه أصحاب الرؤية الإسلامية من أمثال **روجيه غارودي** وغيره من المفكرين المعاصرين.

أما فئة من الدارسين فقد برّرت طرحها لموضوع علم الاستغراب ودراسة الغرب بكونه يسكن وعينا الفردي والجماعي، ويحتل حيزا في وجداننا وواقعنا؛ سعيًا منه للإجابة عن سؤال الحضور والغياب في وعينا، بمعنى؛ أنّ الغرب حضارة وحداثة وفكر حاضرٌ في عقولنا ومؤثّر في وجداننا ممتدٌ في فكرنا ومناهجنا وطرائقنا في التعقل والتفكير، بل وموجّه لبعض سلوكياتنا وصانع لثقافتنا، ومحدّد لوجهتنا، فهو وإن كان غائبا عنا بصورة حسيّة ومنفصلا عنا من الناحية الجغرافية فهو حاضر فينا بشكل مباشر أو غير مباشر، أو قُل يسكن وعينا وخيالنا الفردي والجمعي، بل ويطبع نمط أعمالنا ومؤسّساتنا.

ثمة مدخل آخر، يمكننا أن ننطلق منه في دراستنا هذه، مفاده؛ هل نهتم بدراسة الغرب لأنه هو الذي ينتج العلوم والمعارف والفنون والتقنيات ويملك سلطة المعرفة؟ وفي هذه الحالة نجيب على سؤال الغرب والمعرفة والتقنية؟ بحجة أنّ الذي يملك المعرفة وينتجها يملك السلطة وتأثيراتها، فهو يملك مختلف السُّلط: المعرفة، المال، الإعلام والاتصال، الحضور والتأثير، والتوجيه والفعل. والدليل على ذلك، أنّ حركة الفكر العلمي ونظرياته تقع ضمن دائرة الغرب وحضاراته، سواء في حقل العلوم الكونية أو في العلوم الإنسانية، رغم فقره في العلوم الشرعية والروحية التي يمتاز بها عالم الشرق والعالم الإسلامي. فلا يخفى على كل متتبع للنشاط العلمي والفكري في العالم أن يدرك غلبة الغرب بمؤسّساته ومراكز بحثه وجامعاته ومثقّفيه وعلمائه على مستوى إنتاج المعرفة وبناء نظريته في العلم كمًا وكيفًا وتأثيرًا في العالم، وفقا لتصور **فرانسيس بيكون F.BACON** (1561-1626)الذي لخصها في: الإفادة من العلم الذي يولّد المعرفة، استعمال العلم، ليس لفهم الله فقط، وإنما لتحسين مصير الإنسان على الأرض، إدماج المؤسّسات والدولة في استثمار العلم. (بندي، 2005) فرغم ما يعرفه العالم الغربي من أزمة في الفكر ومشكلة في القيم، وبرغم كثرة الدعاوى التي تروم إعادة ربط العلم والمعرفة بالأخلاقيات والدين التي ظلت منفصلة عنه طيلة قرون عديدة، فقد صار لزاما علينا واستنادا "إلى ما تعلّمناه في الماضي، ندرك أنه علينا تخطّي قيام المعرفة والعقلانية لندخل الأخلاقية والجمالية". (بندي، القيم إلى أين؟، 2005)

دفعت هذه الفرضية المشتغلين بالغرب إلى طرح سؤال القيم في تأسيس علم الاستغراب وتحديد مداخله الكبرى، بمعنى؛ هل ندرس الغرب لأنه يعيش أزمة في القيم؟ (بوحناش، 2014)ونجيب عن الغرب وسؤال القيم وموقعها في منظوماته الفكرية والسياسية والحضارية، ألم تبيّن الدراسات الفلسفية المعاصرة اهتمام الغرب بسؤال القيم في دراسات منظّريه وتصوّرات خبرائه وكتابات فلاسفته ونصوص أدبائه ومواقف وسلوكيات سياسيّيه، وعُقد لأجله العديد من المؤتمرات والندوات وأصدر فيه الكثير من المجلّات والمؤلّفات، عبّرت بشكل وبآخر عما يشهده العالم من اختلال في منظومته القيمية ومبادئه الأخلاقية والجمالية، بل وحتى في معايير قيم الحق والمعرفة التي طالما ادّعاها في تاريخه. لقد

صار الغرب يعرف المنطق المتعدّد القيم في عالم ما بعد الحداثة بدلا من المنطق ثنائي القيم. (بندي، القيم إلى أين؟، 2005) أو إعادة النظر في عديد القيم التي كان يقوم عليه البحث العلمي ومؤسّساته، وبناء الإنسان والمجتمع الغربي، والعمل على إعادة صياغتهما من جديد وفق رؤية معاصرة، تحاول وصل القيم العلمية أو المعرفية بالقيم الاجتماعية، كقيم النزاهة والحياد والاستقلالية التي تشكّل الغرب في ظلها. (ليسي، 2015) وبأزمة المعنى الظاهر والخفي، وصراع التأويلات وبداية المنهجيات الجديدة التي تولي أهمية للاختلافات والتعارضات بدلا من التناسق والوحدة التي تميز الفضاء الثقافي الأوروبي بتعبير **بول ريكور**(Paul Ricœur 1913، 2005) (ريكور، 2022) وبالعدمية والعبثية بدلا من الغائية، فقد صارت الروابط الاجتماعية مفكّكة وشبكة العلاقات الاجتماعية ممزّقة، وفقد الإنسان المعاصر مسوّغات وجوده، وصار يعيش فاقدا للبوصلة التي رسمتها الفلسفات المعاصرة، وطغت على حياته ويومياته اهتمامه بمسائل جزئية بدلا عن القضايا الكبرى التي تضبط حركة الإنسان في الوجود، وتحافظ على كينونته وغايته التي حدّدها الله في كتبه عن طريق أنبيائه ورسله. فهل هذه الأزمة التي يعيشها العالم الغربي صاحبت تشكيله ابتداء أو هي نتيجة طبيعية لمقدّمات ومسلّمات فلسفية وإيديولوجية كان ولابد أن تبرز معه انتهاءً؟

من هنا جاء اهتمامنا بالدرس الفلسفي حول الغرب ومحاولة تأسيس علم الاستغراب، سعيا منا إلى عرض المداخل الكبرى المعرفية والمنهجية باعتبارها محاولة تأسيسية لهذا العلم الذي يقوم في نظرنا على أصول نظرية علمية وشروط منهجية عملية، تتجاوز النظرة العاطفية العدائية للغرب، أو النظرة التي تحكمها المقاربة الماركسية، أو تلك التي تتّخذ من النظرة العرقية للآخر منطلقا لها والانتقال الواعي إلى المقاربة العلمية السُننية التي تتوسّل في دراستها وتأسيسها لهذا العلم بالنماذج المعرفية التوحيدية وتستعين بالأدوات التفسيرية والتحليلية والنقدية الرصينة المحكومة بالنموذج المعرفي البديل، الذي من سماته الانطلاق من قيم النقد والعدل والأمانة والإنصاف، ومعرفة طبيعة وحقيقة الآخر، وهنا نحقّق المعنى الذي قصده المفكّر الباكستاني ضياء الدين سردار في قوله: "يحتاج المثقفون المسلمون أنّ يفهموا الحضارة الغربية من داخلها، "أن يتساءلوا عن طبيعتها الجوهرية، أن يتفحّصوا حدودها وملامحها بالتزام متعاطف وحياد نقدي كذلك(...)ليس دور المثقفين المسلمين، من ثمّ، هو محاكمة سجل أوروبا أو عقلانيتها بل "الكشف" عن التجربة الأوروبية، بعمق، في مداها الأوسع والأشمل استناداً إلى معايير، وقيم." (رسل، 2009) ولا نقف عند الصورة النّمطية التي صنعها له الآخر الشرقي والتي باتت تحكم نظرتنا للغرب ومؤسّساته، حتى نتجاوز المسلك الذي سلكه الغرب في صناعته للآخر بأيدِ المستشرقين الذين صنعوا نمطية مشوّهة عن الآخر، وهي صورة التي لا تتطابق تماما مع الحقيقة الموضوعية في التاريخ والواقع، وفي هذه الحالة؛ نستفيد من أخطاء الغرب والاستشراق في بناء وصناعة صورة الآخر، ونتحرى الموضوعية والأمانة والحقيقة في بناء نظرتنا له. (المنصوري، 2014) تنطلق من خطوة أولى في محاولة لاستيعاب الفكر الغربي وتحليله تحليلا علميًا، ثُم الانتقال الى خطوة ثانية لتقديم قراءة نقدية للغرب فكرا وحضارة والالتزام بقيم الموضوعية والأمانة والعدل في التعامل معه. ثم نمرّ إلى خطوة ثالثة للاستفادة المنضبطة منه والتفاعل الإيجابي معه، وانتهاء بخطوة رابعة تؤمن وتطبّق سُنة التعارف والتدافع والتلاقح بين الحضارات والأنساق المعرفية في إطار خصوصية معرفية وحضارية، والإقرار بالاختلاف الحاصل بين هذه الأنساق المعرفية والحضارية.

وهذا برأينا يجيب عن السؤال المطروح، هل من الضروري دراسة تاريخ الغرب وفلسفاته وعلومه وفنونه وآدابه من أجل فهمه فقط؟ وهل نحن في حاجة إلى الإلمام بتاريخ الغرب والكشف عن فتراته وعصوره؟ هل نحن بحاجة إلى الإلمام بتاريخ أفكار وفترات الغرب كما نفهمه على الشكل الصحيح؟ وبالتالي تصبح المعرفة التاريخية بالغرب خلفية معرفية كاملة مشروطة بدراستنا لتاريخه وحاضره حتى نستأنف دورتنا الحضارية المعطّلة؟

كيف يمكننا أن نقنع الذين يتساءلون: هل الاهتمام ببناء الغرب لذاته كان حالة طبيعية وحتمية تاريخية أفرزتها جملة من المقدّمات والشروط النفسية والتاريخية والذهنية والحضارية؟ أم أنّ اهتمامنا به يأتي حالة عرضية سرعان ما تختفي باختفاء مسوّغات وجوده في الواقع وتأثيره في التاريخ؟ وهل توجد حكمة الغرب وخبرته. (اشبنجلر،

1964) تجسّد فيها روحه وفكره، فتفرض علينا منطق الاستفادة من خبراته وتجاربه النظرية والعملية بمنطق البراغماتية والتفاعلية الإيجابية؟ أم أنّ ما يبدو حكمة للغرب وروحه إنما هو جنون ووهم لا غير، لا يمكن اتخاذه نموذجا للتقدّم والتحضّر، لأن روحه بدأت بنظر فلاسفة التاريخ والحضارة في التقهقر والانحدار؟ (إيان، لماذا يهيمن الغرب اليوم؟، 2018) تؤول إلى الأفول بناء على السّنن التاريخية التي تحكم حركة التاريخ ومنطق بناء الحضارات وتطوّرها وأفولها، وما توحي به بعض المؤشرات من تأزم المنظومة المعرفية والقيمية الغربية على الأقل في بعدها المادي. (حنفي، في الفكر الغربي المعاصر، 1990)هذا الذي دفعنا إلى التفكير في الغرب بصورة نقدية لأفكاره، ومشكلاته وموضوعاته ومآلاته؛ التفكير فيه لمعرفة ما فكّر فيه من زاوية الموضوع، وما أنجزه من رؤى وفلسفات ونظريات من زواية المحتوى، وكيف فّكر فيه في أزمنته المختلفة والمتعاقبة من زاوية الآلية والمنهج، وما الذي كان يريد بلوغه وتحقيقه من زاوية الغاية والمقصد. وبالتالي السعي إلى فهم أفضل وأصدق للغرب، و طريقته في حلّ مشكلات وتجاوز عقباته ومجابهة تحدياته المختلفة في زمانه، وامتد تأثيرها إلى بقية العالم، والاستفادة من الإجابة عن سؤال: كيف نظل نحيا في هذا العالم في ظل وجود مثل هذه التجارب والخبرات نظريا وعمليّاً؟ وكيف نتعامل معها أو نستفيد منها وهي التي تعاني من أزمات حادة في الفكر والمنهج والمقصد؟ وكيف نحلّ هذه المفارقة من دون أن نحرم أنفسنا مما وصلوا إليه، ومن دون أن نكرّر ما وقعوا فيه من أخطاء أو عثرات وأزمات؟

## المبحث الثاني: المحدّدات العامة لدراسة الغرب

إنّ الحديث عن المحدّدات العامة لدراسة الغرب تفرض علينا الانطلاق من رؤية الغرب للعالم من جهة ونظرته للآخر من جهة ثانية، وهي الرؤية التي ظلّت تحكم تجربته ومواقفه في التاريخ الحديث والمعاصر، التي يُعبَّر عنها بالتمركز حول الذاتEurocentricity، ومن خلالها تم بناء موقف الغرب من الآخر، وما نجم عن ذلك من استعمار مباشر لشعوب الشرق واعتداء صارخ على أديانه وحضاراته وثقافاته ومنجزاته المادية والمعنوية، وقد كان بسبب النظرة الاستعلائية الغربية للآخر، حدّدتها ذهنية التميّز عن الآخرين، والشعور بالتفوق عليهم، انتهى إلى بناء نظرية معرفية ومنظومة أخلاقية رسمت حدود التعامل وملامحه مع الشرق، من هنا جاءت دراستنا هذه لتركّز على محدّدين أساسيين في دراسة الغرب وهما: المحدّد الاستعماري والمحدّد النفسي. فما دلالاتهما؟ وما آثارهما على العالم؟

**2.1. محدّد النزعة الاستعمارية**: عُرف العالم الغربي بنزعته الاستعمارية التي تشكّل فيها الإنسان الغربي تدريجيا في العالم، وبممارساته العدوانية تجاه الآخر، إذ قام من خلال التشكيل الاستعماري بتدويل نماذجه الحضارية والمعرفية الحديثة وإعطائها الصبغة الكونية، متوّسلا تارة بالقوة المادية والعسكرية تارة، وبالغزو الثقافي والفكري تارة أخرى، وبدراساته الاستشراقية عن العالم الشرقي وما يحتويه من أديان وثقافات وعلوم وآداب وحضارات من زاوية أخرى، وهو الآن يلجأ إلى استخدام قوة الإعلام ومؤسّساته في استعماره للشعوب والدول ونهب خيراتها واستنزاف مواردها وطاقاتها المادية والبشرية واستغلال إمكاناتها ومُقدّراتها. ذلك أنّ الغرب وتحت تأثير هذه الحيثيات ظلّ يبحث عن جوهر هوّيته الذاتية المفقودة، ويسعى إلى إعادة إنتاج معانٍ لهوّيته والبحث عن غائية مفقودة لتاريخه، الغائية التي فقدها مع مساره الفكري والتاريخي نتيجة ممارساته السياسيّة والعسكرية، كما عمل على البحث عن مقوّمات ثقافيّة ودينيّة وعرقيّة تؤصّله بوصفه نظاما معرفياً متميزاً وكياناً موحداً ومستمراً وفاعلاً مهيمناً في التاريخ الإنساني، خصوصا بعد امتلاكه للطاقة التي بوّأته صدارة العالم مع نهاية القرن الثامن عشر حينما توّفرت له الطاقة بالشكل الذي حوّله إلى هيمنة غربية بلغة الاقتصاديين ومؤرّخي الطاقة. (بندي، القيم إلى أين؟، 2005) ما جعل بعض المفكرين يعرّف الغرب بأنه تصدُّع، الغرب الذي قبل بأن لا يتأسّس إلاّ على تصدّعات بنظر منتقديه، فبعد التصدّعات التي عرفها طيلة القرن العشرين، وما نتج عنها من دمار وخراب وفساد في البر والبحر، وما طال الإنسان الغربي من اهتزازات فكرية ونفسية وأخلاقية حطّمت وجدانه وهدّدت وجوده، ظل يمارس فعل "اختزال العالم بالفتح والاحتلال إلى تابع ساكن وفاقد

للحيوية تقتضي الضرورة التاريخية أن يخترقه الغرب ليبث فيه غاية الحياة المحكومة بسير متصل ومحتوم نحو هدف سام،(...)هذان الفعلان متصلان أشدّ الاتصال بمنهج الوحدة والاستمرارية(...)النتيجة التي تمخّضت عن ذلك، أنّ الغرب أصبح ممثّلا للعمل الغائي الحسن الذي يستحق التقدير والثناء، وتوافق أفعاله الخطة القدرية المرسومة والحتمية، لأنها منطقيّة ومعقولة، أما العالم" الآخر" فهو "بئيس ممقوت" لأنه ينافي الغاية المرسومة، ويعارض ما لا يمكن معارضته. الحل "الأخلاقي" لهذا التناقض، ليس له إلاّ أسلوب واحد، إذابة العالم في الغرب، أو "تغريب العالم"، لكي تتحقّق الغاية، وتمضي الإنسانية في مسيرتها الظافرة إلى النهاية المحتومة." (إبراهيم، 1997)

وقد تحقّق للغرب ذلك إلى حد كبير باستعمارٍ وغزوٍ وحكمٍ ليس الأمريكيتين فحسب بل معظم آسيا وأفريقيا، واستمرّت مجهودات الأوروبيين في تلك القارات في جلب الفوائد الكبيرة. وصار الأوروبيون ينظرون إلى مرآتهم من خلال هذا المفهوم الذي تشكّل في تاريخهم وجغرافيتهم باعتبار ذلك نموذجا أعلى للتطوّر والتقدّم وسقفا معرفيا لا يمكن بلوغه أو تجاوزه. (بلاوت، 2010) من هنا يمكننا فهم الأفعال التي خطّها الغرب في مسيرته التاريخية "وهو محاولة الإنسان الغربي فرض نماذجه هذه على شعوب العالم. وهي نماذج أثبتت نفعها في العالم الغربي في المجالات الاقتصادية والسياسيّة، ولكنها لها جوانبها المظلمة والمدمرّة في مجالات أخرى. وهذه النماذج ليس لها بالضرورة علاقة قويّة بواقع شعوب العالم غير الغربي،(...)وهي لهذا لسبب ليست قادرة على التفاعل مع هذا الواقع أو على الإسهام في تفسيره أو تغييره، بل ويؤدّي تبنّيها أحياناً إلى تدميره." (المسيري، 2001) لذلك سعى الوعي الغربي إلى التغيير في نماذجه، والكبيرة منها بالخصوص**Meta paradigmes**، بعدما أدرك أنه يعيش في خضم تغيّرات معرفيّة سياسيّة واجتماعية كبيرة مع مطلع هذا القرن، الذي حمل العالم من الطبيعة الحداثية إلى الطبيعة ما بعد الحداثية التي تعني بالنسبة لهم ليس اختفاء الماضي بل إعادة صياغته من جديد في عالم يتسم بالتغيّر والاستمرارية. (دول، 2016) "فبعد ظهور الاستعمار الأوروبي تحوّلت العلاقة مع الإسلام من الجانب الأوروبي إلى علاقة سيطرة "ووصاية ثقافية" بصفة نهائيّة. فقد غيّرت السيطرة السياسيّة الأوروبيّة الخريطة السياسيّة للشرق الأوسط إلى الآن. وقد حاول الغرب تبرير سيطرته السياسيّة والعسكريّة عن طريق الادعاء الإيديولوجي المتمثّل في تفوّق أوروبا المسيحيّة على الثقافة الإسلامية. وقام بإعادة إحياء وتقوية الأحكام المسبقة التي سادت منذ الحروب الصليبية." (كوكلر، 2013)

ترسّخت مثل هذه الاستفهامات في الأذهان إلى الحد الذي اعتبر الاستعمار عملاً إنسانياً يُعطي مبرّر غزو الشعوب المسمّاة بـ"الوحشية". "وليس من قبيل المصادفة أن **أنطوان مون كريتيان(A.Mont Chretian**1900، 1988)، يكتب في نهاية عصر النهضة الأوروبية: ملخصا طريقة العمل مع الشعوب الأخرى:

1- توغّلوا بين الشعوب التي لا يزال احتكاكنا بها ضعيفا ومعرفتنا بها قليلة.
2- تقدّموا منها بطريقة لا تثير عندها حالة الذعر، وخاصة إذا كانت التجارب المؤسِفة لم تعلّمها قط الاحتراز من بقية البشر، فستجدون عندها ملجأ وعونا.
3- اعترفوا بجميلها حتى تستميلوها بصورة طبيعية وضمنية إلى أمّتكم التي ليس عندها أي فكرة عليها.
4- انظروا إلى هذا الحشد من الشعوب التي تربطها علاقات تجارية، لا حظوا كم تقرّبها العلاقة المشتركة من بعضها البعض، على الرغم من المسافات الشاسعة الفاصلة فيما بينها.
5- شاهدوا كيف أنّ احترام هذه الواجبات والحقوق المتبادلة يقوّي اتّحادها من أجل النفع المشترك. بالحقيقة، ليست المجتمعات الخاصة إذاً إلا فروعا مختلفة من أجل جذع واحد تستمد منه ماهيّتها. (مرشو، 1996)

وبنفس المعنى يأتي قول **تيزفتان تودوروف Tzvetan TODOROV**(1939-2017) عن البرابرة وعن الاستعمار ومنطقه الذي يشتغل به أو يفكر به في نظرته إلى الآخر: "إنّ من يؤمن بالأحكام المطلقة، إذن العابرة للثقافات، يكون عرضة لأن يرى في القيم التي اعتاد عليها قيمًا عالميّة، وأن يمارس نوعًا من التمركز الإثني الساذج والدوغماتية العمياء، لكونه مقتنعًا بأنه يمتلك بشكل دائم الحقيقة والصواب، ويُخشى أن يصبح خطيرًا حقاً يوم يقرّر أنّ العالم بأسره يجب

أن يفيد من المزايا الخاصة بمجتمعه. وأنّه من أجل تنوير سكان البلدان الأخرى يحق له أن يحتلّها. ذاك كان المنطق الذي اعتمده منظّرو الاستعمار في الماضي، والذي غالبا ما يلجأ إليه اليوم دعاة التدخّل الديمقراطي أو الإنساني. إنّ شمولية القيم تهدّد إذن الفكرة القائلة بأنّ الشعوب متساوية فيما بينها، كما تهدّد بالتالي عالمية الجنس البشري. (تودوروف، 2009) مثل هذه الطروحات تعبّر بوضوح عن ذهنية التمركز الإثني الذي امتاز به الوعي الغربي في الذود عن قناعاته الفكريّة والإيديولوجيّة وتبريره لممارساته في الواقع، وتقعيد لفكرة اللامساواة بين الشعوب، فهو يعتَبِر أطروحة المركزية الغربية" أحد الشروط الأساسية في نظرة الغرب إلى الآخر(الشرق)، وفي هذا الصدد يشير "**تييري هنتش Thierry** HENTDCH(1944-2005)" إلى ذلك قائلا: "التمركز العرقي ليس عيبًا يمكننا تخفيفه، وليس خطيئةً يمكننا أن نقرّ بها ونتطهّر منها؛ فالتمركز العرقي هو الشرط اللازم لنظرتنا إلى الآخر، دون السعي إلى تبرئة أنفسنا منه، وهو الشرط الذي يجبرنا على بذل الجهد والعودة أبدًا إلى نقطة المراقبة، وبالتالي العودة إلى أصول نظرتنا في محاولة منا لفهم الضرورات...التي يستجيب لها فضولنا في معرفة الآخر" (المزوري، 2016) ومثل هكذا أفكار وطروحات غربية سمحت للبعض بالقول أنّ" الأمم الأوربية/الغربية هي أوّل من صعد إلى قطار الحداثة."(هارفي، 2018) متناسين بزعمهم هذا تجارب الأمم الأخرى بحضاراتها الثّريّة، بطابعها الثقافي ونماذجها المعرفية وملامح مجتمعاتها وأنماط تعقّلها للعالم وطرائق تفكيرها، وهي بهذا المعنى تعتبر انعكاسا لرؤى معرفية وحضارية في تاريخ العالم خصوصا الشرقي منه، ولهذا نطرح بعض التساؤلات عن ظاهرة الاستعمار وما قامت عليه من مسوّغات سياسيّة وأخلاقيّة واقتصاديّة، كيف بحثت في تاريخ أفكارها عما يسوّغ لها فعلتها هذه؟ ونسعى للإجابة عن سؤال: هل قهرت أوروبا العالم؟ كيف نفسّر الأسباب التي جعلت الغرب وأوروبا تحديدا تُقهر العالم وتستعمر بعض بلدانه؟ وما هي التبريرات التي قدمتها للعالم؟ بل وكيف نفهم صفة الروح التوسّعية في العالم والذهنية الامتدادية لفضاءات الآخر والنزعة العدوانية على ممتلكاته وخيراته وكنوز أراضيه، والتي طبعت الإنسان الغربي لمدة تزيد عن قرنين من الزمن؟ ولماذا اعتُبر الاستعمار آليّةً من آليات الرأسمالية في الغرب؟ وهل يمكن فك الارتباط بينهما؟ وفي أية شروط يتحقق هذا الانفكاك بينهما؟ والإجابة عن هذه التساؤلات تفيد بأنه:" قد حدث بالتأكيد غزو كولونيالي شمل بقعة واسعة من المعمورة. وكانت هناك بالتأكيد مؤشّرات عسكرية حقيقية على القوة الأوروبية." (فالرشتاين، 2017) ما يتبادر إلى أذهاننا هو مدى أخلاقيّة ما تقوم به الشعوب الأوروبية في عملها الاستعماري التي تزعم القوة والتحضّر في استعبادها للشعوب والأمم الأخرى الضعيفة؟ أليس من حق هذه الشعوب الضعيفة أو المتخلّفة -كما يزعمون- أن تتمتّع بالحرية والمساواة مثلها مثل الشعوب الغربية؟ (دريندا، 2008) بل وكيف يمكن لهذه الشعوب أن تعيش في كنف الأمن والسلام وتنعم بالرخاء والرفاه مثلما تعيشه شعوب الغرب؟ وما الذي يمنع الشعوب والحضارات الأخرى من ممارسة نفس الأساليب التي انتهجتها أوروبا وأمريكا في غزوها للشعوب وعدوانها على الأمم الأخرى؟ " والأسوأ من ذلك هو المعنى الذي تنطوي عليه هذه النظرية، مع أنه من الواضح نوعا ما، من أنه لو أعطي الصينيون، أو الهنود أو العرب بعض الفرص، لكان بوسعهم أن يفعلوا، بل كانوا بالتأكيد قد فعلوا، الشيء نفسه- أي أن يمضوا قُدمًا على مسار الحداثة/الرأسمالية، ويغزوا العالم، ويستغلّوا الموارد والبشر، ويلعبوا بأنفسهم دور البطل الشرير." (فالرشتاين، نهاية العالم كما نعرفه، 2017) وفي هذه الحالة سيكون امتلاك القوة متلازما مع استعمال العنف والعدوان على الآخر واعتبار ذلك سُنّة من سُنن الاجتماع والعمران البشري، حتى أن بعضهم يقول بأنّ "الرأسمالية ليست أمرا جديدا(...) وخلافا للموقف الذي اتخذه من يرون أنّ حضارة أخرى معينة كانت في سبيلها لبلوغ الرأسمالية عندما تدخّلت أوروبا في هذه العملية، فإنّ هذه الحجة تفيد بأننا كنا جميعًا نفعل الشيء نفسه سويًّا، وأنه لم يكن ثمة تطوّر باتجاه الرأسمالية في العصور الحديثة لأنّ العالم كله(...)كان رأسماليًّا بمعنى من المعاني على مدى عدّة آلاف من السنين." وهذا التعميم لا أساس له من الصحة، فتاريخ البشرية يؤكّد على الممارسة الأخلاقية العادلة مع الآخر المختلف عنها في العقيدة والشريعة والثقافة والمرجعية، ونقصد بذلك هنا ما قامت عليه وبه الحضارة الإسلامية طيلة أكثر من عشرة قرون، لأنها حضارة أصيلة جاء بها الإسلام لخدمة المجتمع البشري، سماها المؤرّخون بحضارة الخلق أو حضارة

الإبداع والابتكار، بما قدّمته للعالم أجمع من قيم العلم والفضيلة والعدل، أنقذت بها المجتمع البشري من انحرافاته ومتاهاته. (شلبي، 1989)

ولعلّ من المبرّرات التي أراد الغرب إقناع نفسه والعالم أجمع بممارساته الاستعمارية هو تسويغ تصنيفه للآخر" بـ"الوحش" وتبرير تجريده من ذاتيته المفكّرة المغايرة. باختصار وصمه-بصورة مطلقة- باللاعقلانية الخالية من التفكير. وبذلك أصبح الذي ينظر إلى "الوحش" ككائن بسيط وغريب، يؤسّس للآخرين خطابا مكتسيا، للمرة الأولى، صبغة "علمية" وبالتحديد من موقع المركزية العرقية(...)بموجب منطق كهذا لم يعد الاستعمار مجرّد عنف وتدمير، إنما على العكس صار يعني عنفا "عقلانيا" أي استعمارا قانونيا وضروريا." (مرشو م.، 1996)ولهذا صاحبت عملية الاستعمار بعض الكتابات الفلسفية والسياسية التي تبرّر فعلته في العالم، محاولة منه في تصنيف الشعوب والأمم الأخرى إلى متحضّرة وأخرى متوحّشة أو بربرية ككتابات **فريديريك هيجل Hegel** (1770-1831) في نظرته العرقية العنصرية وفي تأسيسه للنزعة الفوقية التي سادت خطاب الغرب تجاه باقي العالم. والتي ارتكز فيها على المرتكزات الفلسفية من أجل صياغة معالم نظرته الإقصائية للآخر، والتي عدّها المؤرّخون لتاريخ الغرب الحديث بأنها من أبرز التأسيسات المعرفية والثقافية للحداثة الاستعمارية. (عطية، 2019) فهيجل في نظريته هذه حاول أن "يقدّم منظومة فلسفية/تاريخية محكمة مغلقة تضمّ كل أحداث التاريخ وكلّ الحقب التاريخية في كل التشكيلات الحضارية، وهي منظومة مغلقة مركزها التشكيل الحضاري الغربي ونهايتها هي تلاحم المطلق(الغربي) والنسبي(ببقيّة العالم)...هذه الرؤية على مستوى النظرية قد تساوي بين الجميع، ولكنها على مستوى التطبيق، بسبب المركزية الغربية، تتحوّل إلى أساس لتبرير الاستعمار والعنصرية وكل ما يصبّ في صالح الحضارة الغربية." (المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، 2006)

وقد كان من أبرز نتائج هذه النظرية وغيرها من النظريات المشابهة لها في الروح أو المحتوى أنه "لم يعد ثمة شيء عقلاني، بالمعنى الحرفي سوى النظرية الأنثروبولوجية "الإناسة" عن ثقافة الشعوب التي اصطلح على تسميتها بـ "البدائية" أو "الوحشية"، ولم يعد هناك من ثقافة عقلانية سوى ثقافتهم من وجهة نظرهم هذه. وإذا كان ولابد من الحديث عن عقلانية لهذه الأخيرة، بلغة الأنثروبولوجية المعاصرة، فلا يمكن أن تكون إلاّ عقلانية مستعارة وممتثلة لقوانين ومعايير العلوم الإنسانية الغربية. وهذا انطلاقا من الحجة القائلة أنه لا يوجد عند هذه الثقافة المهمّشة ما يخوّلها إبداع عقلانية من رحم ثقافتها وبالطريقة المناسبة لتفاعلها واستيعابها لثقافة المركز." (مرشو م.، مقدمات الاستتباع، 1996) وقد أكّد هذه الفكرة أحد المفكرين الغربيين المعاصرين المنتقدين للغرب وحضارته وهو **تيزفيتان تودوروف** الذي قال "يعتقد المستعمرون، أو يتظاهرون بالاعتقاد، بأنّ المبادئ الجمهورية التي ينادون بها تجد تجسيدها المناسب في النظام الاجتماعي الذي يفرضونه؛ أما الانطباع المتولّد لدى المستعمَرين فهو أنّ هذه المبادئ تشكّل غطاء لعملية الغزو والاستغلال، وأنّ مبادئ الحرية والمساواة بالذات تتلاءم بصورة أفضل مع نضالهم ضد الاستعمار ومن أجل الاستقلال." (تودوروف، الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات، 2009) وقد امتدّ هذا التصور إلى النظريّة الاجتماعيّة الغربيّة (شحاتة، 2007)في تقسيمها للعمل والذي بموجبه "صار النظام الغربي يبرّر فرض نفسه كحامل لرسالة حضارية لشعوب مصنّفة بـ"المتوحّشة" و"الكسولة" أيّ العاجزة عن الإنتاج واستغلال الثروات الطبيعية. الأمر الذي يثير شهوة التوسّع والهيمنة عند الغزاة(...)بالحقيقة، لم يعد الخطاب الغربي المؤسّسي يخفي وصايته في تقرير مصائر الشعوب المسمّاة بـ"المتوحّشة"، لا، بل صار التعبير عنها يجري بكامل الحرية والإرادة والاندفاع إلى حد العمل على إخضاع كل العالم لقانونها، وذلك من خلال دعوة "المتوحش" إلى الامتثال لقوانين "عصر الأنوار" وما تتضمّنه من مظاهر التّرف والتصنّع والحيل العقليّة، التي رأى فيها **جان جاك روسو** Jean Jacques Rousseau (1712-1778)، آنذاك، مُفسدة للطبيعة البشرية وليس كمؤشّرات كاشفة عن المسيرة الأحادية لـ "التقدّم" العالمي كما روّج معاصروه، أمثال **كوندرسيه Condorcet**(1743-1794) **وفولتير** Voltaire(1694-1778) **وديدرو** Diderot(1713-1784)وغيرهم." (تودوروف، الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات، 2009) فقد تأثّر **فولتير** بأفكار الفيلسوف **جون لوك Luke**

**J;،(**1632-1704) وقد آمن مثل غيره من المفكرين بالرؤية النيوتونية الواحدية المادية. غير أنه جمع في فكره بين رؤيتين متناقضتين؛ فمن جهة آمن بأنّ الطبيعة تتحرّك وفق قوانين آلية صارمة أزلية، ومن جهة أجرى، كان ربوبيا، بمعنى، آمن "بأنّ الإله هو المحرّك الأول، وأنّ ثمة علّة نهائيّة وعقلاً أعلى ومهندسًا أسمى في الكون. والإله ليس جوهرا مستقلا وإنما هو حال في الطبيعة جزء لا يتجزّأ منها وتنكمش إرادته وتتقلص لتصبح هي مبدأ الحركة الأولية في الطبيعة." (المسيري، فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، 1998) وهو المعنى الذي قال به **نيوتنNewton** (1643-1727) عندما اعتبر أنّ "العالم الذي كشفه والذي تمثل له آلة متّسقة منتظمة(...)قائماً منذ القدم على هذا الشكل أبداً ودائماً، لابد أن يستوجب خالقاً عاقلاً ليبنيه. ومفهوم العالم كآلة أو كساعة مركبة يتضمّن فكرة وجود صانع يبني الآلة ويخطّط اتساقها ونظامها الدقيق." (راندال، 2013) غير أنّ هذا المعنى لم يحضر في الممارسة السياسية والعلاقات الدولية التي أقامها الغرب مع بقية العالم، بل تحكمت فيه الرؤية المادية القائمة على الجشع والاستغلال والاعتداء على الآخر بأشكال متنوعة ومتعددة، عانى منها العالم الويلات وخصوصا في الحربين الأوروبيتين في المنتصف الأول من القرن العشرين، ولا تزال آثارها حاضرة في العالم إلى يومنا هذا. فالمسألة إذن تتلخص في موقفين أساسيين: الموقف الذي يعتبر الغرب عدوانيا استعماريا متعاليا أو نرجسيا في نظرته إلى نفسه وإلى العالم، والموقف الذي يعتبر ممارساته ومواقفه وعلاقته عادية جدا، يحكمها المنطق البراغماتي الذي يقتضي الإيمان بمنطق الصراع والأضداد، إلا إننا نميل إلى الأخذ بالموقف الأول، ذلك أنّنا في العالم العربي والإسلامي عانينا كثيرا من الموجة الاستعمارية التي شنّها الغرب علينا مع بداية القرن التاسع عشر وما تزال آثاره وانعكاساته إلى اليوم في بعض الأقطار العربية كفلسطين مثلا، بالإضافة إلى الآثار النفسية والاقتصادية والثقافية التي بقيت تصنع شخصيتنا وتوجّه واقعنا وتحدّد مواقعنا في العالم المعاصر. وهذا الذي أردناها من هذا البحث وقصدناه من محاولة التأسيس لعلم الاستغراب، أعني الانتقال من حالة الانفعال بالآخر أو بالغرب إلى حالة الفعل والبناء والسعي إلى التّحرر من الغرب وهيمنته ونماذجه، والانطلاق في بناء إرادة حرّة وذهنية عربية وإسلامية متّقدة تصنع واقعها وتبني حضارتها وتنخرط في صناعة أحداث العالم وتوجيهها بما يحفظ هويتها ووجودها ويسهم في حركة العالم الثقافية والعلمية والاقتصادية والحضارية في شكل استئناف لدورتها الحضارية الثانية، أو الدخول من جديد في العالمية الإسلامية الثانية بتعبير محمد أبو القاسم حاج حمد. (حمد، العالمية الإسلامية الثانية جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، 1996)

وفي نفس السياق يقول **"بيتر غران Peter Gran"**عن أوروبا وثقافتها: "لذلك حتّى تظل فكرة "أوربا" حيّة فإنها توجِد لنفسها "ما ليس أوربيًّا" أيّ ما يشكّل خلفية جمعية لها. ويصبح عليها أن تحطّم أي مفهوم بديل للتاريخ، بمقدوره أن يتحدّى ثنائية "أوربا/غير أوربا". لأنّ "أوربا" في هذي النموذج تظلّ قائمةً فقط لأنها مختلفة عن "غير أوربا" وما ليس أوربيًّا يجب أن يظلّ على طرف نقيض، أيّ أن يظلّ غير متخلّفا أو يظل غريبا أو بدائيًّا. لذلك يلجأ بعض المؤرّخين إلى إضفاء طابع غريب على ما ليس أوربيًّا، فينشئون "تاريخًا-عرقيًّا" و"معاهد استشراق"، أو يجالسون العالم بأسره، بما فيه ما ليس أوربيّاً، فينشئون عالما من الكائنات البشرية المتغايرة فيما بينها تشكّل جميعاً أجزاءً معتمدة على بعضها البعض، تنتمي إلى "القرية الكونيّة" وفقاً لمستوى نموّ كل منها، على أن تظلّ أوربّا هي الجزء الفائق النّمو في نموذج دراسات التنمية." (غران، 1998) لذلك يؤكّد **بيترجران** في كتابه: "ما بعد المركزية الأوروبية": "فإذا كان النموذج السائد لكتابة تاريخ العالم هو المركزيّة الأوربيّة، أيّ تاريخ أوربآ أساساً مكتوبٌ بتوّسع، فأوربّا يجب أن تكون هي نقطة البداية في فهم طبيعة هذه الطريقة في فهم التاريخ." (غران، ما بعد المركزية الأوروبية نظرة جديدة على تاريخ العالم الحديث، 1998) وعلى هذا الأساس اعتُبر تاريخ أوروبا في العصور الحديثة نواةً أساسيّةً في تفهّم التاريخ العالمي الحديث والمعاصر، ذلك أنّ أوروبّا في "العصور الحديثة لم تكن مجرّد قارة ثابتة في مكانها، بل متنقّلة في أنحاء العالم، برجالها وقيّمها، وأفكارها الجديدة، ومن ثم فإنّها دخلت في أحداثه التاريخيّة، وخلّفت بصماتها في تطوّره، وكانت في الواقع قطب الرّحى في الأحداث العالميّة كلّها، حتّى أنه يُطلق على القرن التاسع عشر(قرن سيادة أوربّا على العالم)، حاولت خلال هذا القرن، أن تركّز

وجودها في مختلف أجزاء العالم اقتصادياً، وسياسيّاً وفكريّاً، حتى غدا من العسير فصل أيّ تطوّر في مختلف البقاع العالميّة، عن تطورات التاريخ الأوربي المعاصر." (الصباغ، 1998)

وفي ظل الرّؤية المتحيّزة للمركزيّة الغربيّة في فهم وتفسير تقدّم الغرب وواقعه في أوروبا بل واعتباره حتمية تاريخيّة، فقد بقي موضوعا رئيسيا للتنوير الأوروبي والأمريكي، خاصة في حقل العلوم الانسانية والاجتماعية والدراسات الحضاريّة طيلة القرون الثلاثة الأخيرة، أين يمكن تتبّع أصوله التاريخيّة والمعرفيّة في الفلسفة الغربيّة بأكملها التي أعادت النّظر بصورة جذريّة في تاريخ الغرب كلّه، بإبراز مواطن القوّة والتميّز فيه واستبعاد كل ما يشكّل نقاط ضعف ووهن في تاريخ الغرب ومساره، وتم ترسيخ الرؤية التي تكشف عن مركزية الغرب واعتبار تاريخه محكوما بصيرورة تشدّه دائما إلى تطوّر خطّي مستديم، انطلاقا من الحقبة الإغريقية إلى الحقبة الرومانية إلى اليوم، فالمتتبّع للدراسات التاريخيّة والحضاريّة لتاريخ الغرب وتشكّله وتطوّره يقف بلا شك على فكرة المركز التي شكّلت قوام الغرب ووحدته، وقد كان من نتائج هذا الزعم أنه أصّل مقوّماته العرقيّة والدينية والفكرية. (إبراهيم، المركزية الغربية إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات، 1997)

وقد كان لإيمان الأوروبيين بهذا المعنى للتقدّم بصمته الواضحة في تأسيس العلوم الاجتماعية وفلسفة التاريخ والحضارة، وغدا مفهومه "مبرّرا لجميع النظريات المرحليّة تقريبا. يُضاف إلى ذلك أنه أضحى الآلة المحرّكة لجميع العلوم الاجتماعية." (فالرشتاين، نهاية العالم كما نعرفه نحو علم اجتماعي للقرن الحادي والعشرين، 2017) ولم يتوقف الغربيون عند هذا الفهم للتقدّم بل جعلوا منه خيارا وحيدا للعالم، ينبغي فرضه على الشعوب التي تريد الانخراط في حركة التاريخ وصناعته. وصارت مقولة التقدّم متراساً دفاعيّاً، وملاذًا أخيراً للنزعة المركزيّة الأوروبيّة، لا يمكنها أن تخرج من الدائرة الأوروبيّة، رغم ما كتب حولها من انتقادات من داخل النسق الثقافي الغربي نفسه. إذ تعرّض مفهوم التقدّم لهجوم نقدي باعتباره نزعة مركزيّة أوروبيّة، جعل البعض ينتهي إلى ضرورة الفصل بين الغرب والتقدّم بالشكل الذي فُهم أو قُدّم للعالم، أو على الأقل إعادة تحديد جديد للتقدّم في العشرين أو الثلاثين سنة القادمة، وذلك بإطلاق حوار بين ثقافاتنا لكي نفهم كيف نعِي كلمتي " التّنمية" و "التقدّم". (بندي ج.، 2005)

يقوم هذا المفهوم على "أنّ الجنس البشري قادر على إدراك الكمال. وأخيرا أمسكت البشرية بيديها مفتاح مصيرها: إذ في استطاعتها أن تجعل من المستقبل ما تريد على وجه التقريب. ولم تبق هنالك ثمة حدود للازدهار البشري لا يمكن تخطيّها طالما يستطيع الإنسان تهديم ما في الماضي من أخطاء حمقى والرجوع إلى الاستثمار العقلي للطبيعة." (راندال، تكوين العقل الحديث الجزء الأول، 2013) بُني هذا الاعتقاد على أسس منها؛ اختراع أدوات جديدة وقويّة، تطوير رؤى جديدة، اكتشاف قارات جديدة، ابتكار طرق جديدة ومثيرة للنّظر إلى العالم، تسارع الثورة العلميّة وبدء الثورة الصناعيّة، كل هذه العوامل عملت فكرة التقدّم على قولبة المفاهيم حول المستقبل والإيمان بعدم إمكانية التنبّؤ أين سيتوقّف هذا التقدّم؟ (غور، 2015) في ظل النقص الكبير في القدرات العلميّة ذات العلاقة بفهم طبيعة ودور المستقبل من جهة، ووجود مخاطر من ناحية النماذج المعتمدة للتفكير في المستقبل من جهة ثانية، فهل يسير العالم نحو المستقبل في إطار نظرية الحتمية، أم في إطار نظرية اللّاحتمية؟ وهل ثمّة كفاية في الأدوات المنهجيّة والقدرات المعرفيّة لفهم طبيعة مستقبل العالم وقراءة مختلف التوقّعات الممكنة، ضمن ما يسمّيه المختصّون في هذا النوع من الدراسات بالخصوصيّة، والتمكين، والتجديد، والذكاء الجماعي، ومعامل المعرفة باعتبارها موضوعات وأدوات في الآن ذاته، فكيف يمكن للبشرية تعزيز فهمها للتوقّع؟ وما هي اقتراحاتها لتحقيق ذلك؟ (ميللر، 2018)

يرى **غريغوار منصور مرشو** في معرض حديثه التاريخي والمعرفي عن الغرب أنه لكي يظفر في فرض هيمنته وتغذية نمط إنتاجه الجديد وإملاء شروطه، كحقيقة وحيدة لازدهار الحضارة، لم يلجأ دائما إلى سياسة النهب الخالص وسياسة المدافع السافرة، إنما اعتمد على عقد اتفاقيات تجارية أو عسكرية وعلمية مع حكام دول الأطراف، وإلى تكوين أنصار وزبائن له مفتونين بمبادئه وقيّمه ومؤسّساته في المجتمعات المحلّية. من هنا كان رهانه على تجنيد حملات واسعة

النطاق مؤلَّفة من جامعيين ورجال الأعمال وعسكريين وموظّفين ومبشِّرين وفنيّين...الخ. هدفها الاستطلاع والتعرّف على الأراضي الصالحة للاحتلال مستقبلا، بالتسلّل إلى ضمائر السكان المحلّيين من أجل تطويعها وتسخيرها لصالح القوى الاستعماريّة. (تودوروف، الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات، 2009)

ثمة حقيقة ينبغي التذكير بها وهي ارتباط ثقافة الاستعمار في بنية الوعي الغربي بالإمبريالية وحمولتها الفكريّة والإيديولوجيّة في منظومة علومها الإنسانية والاجتماعية وفي دراساتها الثقافيّة والسياسيّة والحضاريّة، ولهذا "لكي تضفي الدوائر الاستعماريّة الأوروبيّة على أيديولوجيّتها التوسّعية صبغة قانونيّة وعقلانيّة، كان عليها أن تقدّم علومها في مجال الإنسان بمثابة علوم حياديّة عالميّة شبيهة بالعلوم الطبيعيّة. إلاّ أنّ هنا، أيضا، لم تتردّد "العلوم الإنسانية" في توظيف أسطورة الإنسان المتوحّش بما يخدم مصالح دولها. وغايتها في تأييد صفة الوحشيّة على إنسان ما وراء البحار لم يكن القصد منه تجريده من كل مزاياه الفكريّة فحسب، إنما تأسيس، ولأول مرة، خطاب علمي مخصّص للآخرين-يبرّر من خلاله للمركزيّة العرقيّة الغربيّة- زعزعة ثقة الشعوب الشرقيّة بذاتها وبمعاييرها وتدمير مجتمعاتها وعوامل الاستمراريّة عندها. وقد اعتقدت هذه الدوائر بأنّها من خلال عمليات غسيل الدماغ هذه يتسنّى لها تكسير بُنى هذه المجتمعات وتفتيتها ثم إعادة بنائها بما يتوافق مع مصالحها التوسّعية." (مرشو م، مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته، 1996) باستخدامها للمقولات التي أنتجتها الإمبرياليّة باعتبارها درجةً من التداخل مع تاريخ وبنية المجتمع الرأسمالي، وبما تحمله-أي الإمبرياليّة-من أفكار عن الاقتصاد والسياسة والحكم، (ماجدوف، 1981) برّرت لها اللجوء إلى استخدام القوة والعنف كإيديولوجيا وممارستها الكولونياليّة في الواقع ممارسة فعليّة، صاحبتها المسلّمات الفكرية التي أفرزتها فكرة العالم الكولونيالي وصارت "تتمحور حول شعب أدنى منزلة بجبلّته، ولا يقف خارج دائرة التاريخ والحضارة وحسب، وإنما قُدّر له سلفاً في أصل تكوينه الجيني أن يكون أدنى منزلة. وهكذا فإنّ استعبادهم لم يكن مجرّد وسيلة جلب منفعة ماديّة للخدمة الشخصية وإنما أمكن أيضا صوغ هذا الاستعباد بوصفه حالة فطرية." (آشكروفت، 2010) وقد استندت هذه الممارسة على قناعة علمائهم باختلاف مشاربهم الأيديولوجية، إذ أجمعوا، على إسقاط بعض الأحكام المعيارية مسبقة الصنع على الشرق وإلصاقه ببعض النعوت السّلبية؛ الاستبداد، التأخّر، اللّامبالاة البكماء، البدانة البليدة أو الكسل، الذهنية السّحرية اللاعقلانية واللاتاريخية إلى غير ذلك من الأوصاف التي أطلقها الغرب على الشرقيين، وللأسف امتدّت هذه القناعات إلى بعض أهل الشرق. كان من نتائجه تسويغ إضفاء المشروعية على كل أشكال الاستعمار والعنف والقهر التي تمارس على المجتمعات لحساب "معلّمها الكبار" الذين انبهرت بهم في الغرب. (مرشو م، مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته، 1996)

إنّ مثل هذه الأفكار وُجدت بصورة متفرّقة ولم تتصدّر إنتاجه. غير أنّها شكّلت الدافع الأساسي للرؤية الغربية التي آمنت بالاختلاف بين أجناس العالم المختلفة في مستواها الذهني. و"صارت نظريته في تدعيم الغرائز العدائيّة وتقوية الأهداف الإمبرياليّة، تحت غطاء سحر "الحقيقة العلمية"." (مرشو م، مقدمات الاستتباع، 1996)بمثابة القانون العلمي ينبغي الإيمان به أولاً وتطبيقه في الواقع ثانياً. "وقد سجّل **ماكس نوردو** (1849-1923) Nordau Miksa عام 1869 ملحوظة مبيّنًا فيها كيف كاد **داروين**Darwin أن يتحوّل إلى سلطة عليا لدى العسكريين في جميع البلدان الأوروبيّة." منذ أن انتشرت نظرية التطوّر صار بإمكانهم، باسم داروين، تغطية بربريتهم الطبيعية وإطلاق العنان لغرائزهم الدمويّة لكون هذه النظرية كانت تعتبر آخر صيحة في العلم"." (مرشو م، مقدمات الاستتباع، 1996)

**2.2.المحدّد النفسي**: تتحدّد ملامح هذا المحدّد من مصادر الخطاب الغربي التي شكّلت نظرته حول نفسه أولاً ثم نظرته حول العالم أو الآخر ثانياً، استند في ذلك إلى المعايير والقيم والعادات الذهنيّة التي سكنت الخطاب التاريخي المتعالي للغرب، ومكّنته من بسط هيمنته على العالم، وفرض ثقافته على الشعوب المهمّشة، بعد تمكّنه من فرض سيطرته على الطبيعة، فانتقل من مبدأ السيطرة على الطبيعة إلى مبدأ السيطرة على البشر، وما كان له أن يحقّق ذلك لولا توّفر بنية ذهنيّة معينة، وشروط وخصائص نفسية محدّدة، دفعته إلى تجسيد ذلك في الواقع. (مرشو م، مقدمات

الاستتباع، 1996) التاريخ الذي رفض فيه الإنسان الأبيض أن يتساوى مع الإنسان الأسوَد. وقد كتب فلاسفة الغرب وعلماؤه عن عدم إمكانية تطبيق المساواة مع الأجناس الأخرى ومنها طبعا الأفارقة السود. والنص الذي بين أيدينا يؤكّد هذه الحقيقة: " لقد قام الثوريون بتطبيق مبادئ المساواة على السود: فلو استشاروا علماء وظائف الجسم لكانوا تعلّموا أنّ الأسوَد بسبب حاله العضويّة غير قابل لشرط مساوٍ في التربية حتى ينشأ على نفس مستوى الذكاء لدى أوربا...لقد كانوا مخطئين في اعتناق عرق أدنى منهم" (بولياكوف، 1971) ومثل هذه الأفكار تدّعي أنها قائمة على أسس علميّة وخصوصا علم وظائف الجسم، وما هي في الحقيقة سوى مجرّد أحكام مسبقة وفرضيّات خياليّة لا أساس لها من الصحة عقلا وواقعا، وأنّ العلم الصحيح لا يؤكّد بل لا ينشغل أصلا بمثل هذه الرؤى والأحكام المعيارية المقيتة. فمثل هذه الفرضيات لا تجانب العلم وحقائقه فحسب، بل تخالف منطق تاريخ نشأة وتطوّر الحضارات وبنائها وسقوطها. كيف لا وقد حصر الغربيون إدارة العالم وسياسته في طريقة واحدة هي الطريقة الغربية ففي نظرهم"هناك طريقة شاملة، وحديثة واحدة لإدارة الأعمال والجغرافيّة السياسيّة، وهي الطريقة الغربيّة: عقلانيّة، ومستندة إلى السوق، وكونيّة، لا تسمح بأيّ حدود لتحدّد نطاق تأثيرها." (كوك، 2009) وهي الفكرة التي تتوافق مع مسلّمة العرق الأسمى لدى الألمان بالخصوص، إذ تبيّن هذه المسلمّة بالنتيجة أنّ العرق الأسمى مقدّر له أن يعمّ أوروبا، لأنه يتميّز بالطول والقوّة والجمال، ويتجسّد فيه المثال الجميل للطبيعة الجسميّة للإنسان. ويعبّر عن نظام تراتبي يُظهر العرق الأبيض متقدّما على الأعراق الأخرى في الجمال والذكاء والقوة، وتنبني هذه المسلّمة على وجهة نظر فلسفية تعتبر أنّ الأعراق الأكثر موهبة كانت الغوطيّة والسلافيّة ومن بعدهما السكسونيّة والسّلتيّة، فهذا العرق هو المقرّر لكلّ شيء في الشؤون الإنسانيّة...التي لم تعلن عنها الفلسفة قط في تاريخها قبل الآن. إنّ العرق هو كل شيء: الأدب، العلم، والفن، وبكلمة واحدة تتوقّف الحضارة عليه.(Knox, 1982) وقد تناسى هؤلاء تأثير الاختلاطات والتصاهر بين الأعراق ما يجعل تميّز هذا العرق مهدّدا بالزوال برأي **غوبينو Gobineau** الذي جاء رأيه هذا كإنذار للأوروبيين بالخطر المحدّق بالعرق الأبيض وحضارته. ,GOBINEAU) 1867)

ولتكريس هذه المسلّمات عمل الغرب على نشر معتقداته الفكرية والعرقية في العالم، واتّخذ جملة من الأساليب لتعميمها وتثبيتها في الوعي الإنساني ومنها:

1- الغرب هو الوحيد الذي يمثّل الحداثة، وهو متفوّق على البقية من الثقافات والحضارات والشعوب.
2- يجب أن تسود العالم صيغة شاملة تستند إلى النّمط الغربي الذي صنعته هذه الحداثة الغربيّة، وعلى وجه الخصوص النمط الحداثي الأمريكي.
3- يعمل الغرب دوما على جعل بقيّة العالم تنسجم مع نمطه الحداثي.
4- يجب على بلدان الغرب المختلفة أن تقلّل تنوّعها الثّقافي، وتعدّدها السّياسي، لتنسجم في النهاية مع النمط الحداثي الغربي. وعند الضرورة ينبغي عليها التضحية بمصالحها المحلّية؛ كي تتطابق مع الطبعة الشاملة العالميّة. (كوك، انتحار الغرب، 2009)
5- ليس ثمّة قيّم ومعايير للشعوب الموسومة ب"الراكدة" من منظور "إرنست رينان"((Ernest Renan 1823-1892 إلاّ من خلال الهروب إلى منطق المركزيّة العرقيّة الغربيّة التي تريد بشتى الوسائل الاحتوائيّة، المباشرة منها وغير المباشرة، أن تلغى ذاتيات الآخرين، من أجل إلحاقها بعجلة اقتصادها الرّأسمالي العالمي. (مرشو م.، مقدمات الاستتباع، 1996)
6- والنتيجة هي أنه "لا تقدّم ولا تحضّر ولا فكر ولا ثقافة حيّة ممكنة إلاّ بالاستسلام والقبول بالانتفاء والانمحاء لصالح حضارة مقبلة من الخارج. (مرشو م.، مقدمات الاستتباع، 1996)

إنّ نظرية كهذه لم تلق إجماعا بين الغربيّن أنفسهم أو بين أوروبا وأمريكا بالدرجة الأولى، فهي تعبّر عن صراع خفّي بين أوروبا وأمريكا، أو صراع التلميذ مع أستاذه، وتجاوز لحدوده وآفاقه المعرفيّة والاقتصاديّة والعلميّة

والتكنولوجيا، برزت في شكل جدلية انتقل فيها الغرب في شقه الأمريكي من تلميذ وتابع أو مقلّد إلى أستاذ ونموذج رائد وموجّه وصانع للآخر الأوروبي ومتبوع من طرفه، والذي كان إلى زمن قريب يعتقد أنه قلب العالم وبؤرته المحرّكة له. يقول جمال حمدان: "وإذن فلقد جعل الاستعمار أوربا قلب العالم ورأسه جغرافيّا وسياسيّا، وجعل العالم يتمركز حول قبلة أوربا Euro-centric، وفي الوقت نفسه جعل الرجل الأبيض يحاصر الأجناس من خلف ومن قدّام ومن خلاف. بل قد يمكننا أن نتحدّث عن "أوروقراطية" حقيقية-حكم أوربا Eurocracy- بمعنى الكلمة، وعن عصر الأوروقراطية العالميّة، عصر لعبت فيه هذه القارة دور أرستقراطية العالم، وتصرّفت فيه كما لو كان الجنس الأبيض وحده دون الجنس البشري كلّه خليفة الله في الأرض، واتّخذت في مجال السياسة والحضارة عقليّة وفلسفة أشبه ما تكون بعقليّة العصور الوسطى في الفلك والكوزمولوجيا حين كانت تحسب الأرض مركز الكون ومحور المجموعة الشمسية(...)وإذا كان لهذا التشبيه مغزى، فهو أنّ أوربا كانت تحتقر الجغرافيا وتحتكر التاريخ، أيّ كانت ضد الطبيعة، ومن هنا ستكون سقطتها وانهيارها فيما بعد."(حمدان، 1983) فهل يتحوّل مركز الغرب من أوروبا إلى أمريكا؟ وهل تسمح أوروبا بذلك؟ أم أنها مرحلة زمنية فقط، تسود فيها أمريكا وتسود العالم وتسيّره كما تريد، إلى أن تستعيد أوروبا مركزيّتها وتوجهها للعالم على مختلف الأصعدة؟ أليس قوّة أمريكا مستمدّة من الحضارة الغربيّة في بعدها الأوروبي؟ ألم تستلهم أمريكا فلسفتها في الحياة ونظمها السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة من فلاسفة التنوير الأوروبي؟ ناهيك عن الرحلات المتعدّدة التي قام بها الأوربيون إلى أمريكا وما استتبعها من تأثير قوي في بنية المجتمع الأمريكي وفلسفته ونظمه وأنماط تفكيره وسلوكياته؟ والنتيجة أن اشترك الغرب الأوروبي والأمريكي في صناعة صورة نمطية ومشوّهة عن الآخر؛ بمعنى أنّ نفسية الإنسان الغربي بخلفيته الفلسفية الاستعلائية من جهة، والعدوانية من جهة أخرى هي التي "مكنّت النظام الغربي من أن يبلور، بواسطتها، صورة عن ذاته ويخلق، بشكل موازٍ، صورة مشوّهة للآخر لتأكيد ذاته. ثم تبيان محاولته ليستقيم ذلك، رسم "مصير متعال" ليجعل من نفسه محوراً، بل مرجعاً تاريخيّاً عالميّاً وحيدًا في معالجة مجتمعات ما وراء البحار.(مرشو م.، مقدمات الاستتباع، 1996) والذي أفرز في العالم ظاهرة الاستعمار بأشكالها وأساليبها ووسائلها المختلفة، وكان من أمثلة هذا التوجّه نحو الكونيّة أو العالميّة أنّ الفيلسوف فولتير رغم أن فكره كان منصبّاً على إصلاح أحوال المجتمع الفرنسي، إلاّ أنه كان في عواطفه وتأثيره أوروبيّاً بل رجلاً عالميّا بل صار نموذجا للتقدّم والتحديثً في كثير من بلدان وثقافات العالم. (راندال، تكوين العقل الحديث الجزء الأول، 2013)

والسؤال الذي نطرحه هنا، في ظل هيمنة الغرب على العالم، وسعيه الدؤوب إلى فرض نماذجه وثقافته وأساليبه في العيش، وترويجه نموذجه الحضاري في أفق العالمية والعولمة هو: كيف نفهم عالميّة الغرب؟ بمعنى هل تفهم عالميته في إطار الوحدة والانسجام والتوافق التي ظلّ يتغنّى بها؟ أم يفهم في إطار التناقضات الحاصلة والصراعات المفتعلة بين أقطابه ومكوّناته الفكريّة والسياسية؟ ذلك أنّ محاولة الغرب لتغريب العالم كشف في النهاية عن "الطبيعة التناقضيّة للأهداف المراد تحقيقها. فليس شعار عالمية الغرب، إلاّ دعوة للانزلاق نحو استبداد يفرض على "الآخر" أو يدفع" الآخر" إليه، بحيث لا تتوفّر فيه شروط الذوبان في ذلك الغرب الذي طوّر في الواقع مقوّمات استبعاد هائلة لكلّ ما هو غير غربي، ولكنه في الوقت نفسه قد دمّر شروطه الذاتيّة. وهنا لا يجد" الآخر" غير الغربي أمامه، إلاّ الخضوع المستمرّ لحالة توتّر ثقافي وتشنّج اجتماعي، وانهيار اقتصادي." (إبراهيم، المركزية الغربية، 1997)

انتهى الدارسون لثقافة الغرب وممارساته والمحلّلون لأفكاره وتصوّراته، إلى جملة من الحقائق النفسيّة والذهنيّة تعكس حقيقة الإنسان الغربي ونظامه المعرفي منها:

1- يبحث الغرب عن خارج ينبّهه أو يحفزه فهو لا يستطيع أن يعيش من دون وجود صراعات أو قوى تنازعه وتنافسه. فالتاريخ يؤكّد حاجته إلى(خارج) بما هي ضرورة وجودية.
2- يستحيل تصوّر الغرب بدون علاقاته مع بقيّة العالم. وقاعدة العلاقة غير المتكافئة بين الغرب والعالم كأساس لنزوعه العالمي، أو كشرط لاستمرار سيطرته على العالم.

3- يظهر الغرب ومنذ بروزه على المسرح العالمي في صورة ثنائية انقسامية: تفصله عن الخارج. وفي ذات الوقت أراد أن يكون هذا الخارج مصدرا دائما لموارده، مُخرجا من أزماته، وضرورة لازدهاره.

4- تتلخّص قناعة الغرب في الدور التاريخي العالمي الذي ينبغي على المسيحيّة أن تؤدّيه في سبيل إنجاح المشروع الرأسمالي، وهو هنا يتغلّف بغلاف الدين لإضفاء الشرعية على توجهه السياسي والاقتصادي، وممارساته العسكرية والاستعمارية.

5- أرادت عالمية الغرب أن تكون ماديّة في نمط العلاقة التي أقامتها الرأسماليّة بين الغرب وحضارته من ناحية وبين بقية العالم من ناحية أخرى.

6- تبحث الرأسماليّة عن جذورها من أثينا وروما المسيحيّة لتضيف على الحضارة هالة إيديولوجيّة تمتد في تاريخ سياسي وعرقي وتوسّعي وترتدي ثوبًا دينيًا مسيحيّاً.

7- حضارة الغرب في العالم وليدة ذاتها: ماديّة، علميّة وتقنيّة، مسيحيّة، تُغلِّف ذاتها بتفوّق عرقي وجغرافي مدعوم بتقدّم علمي-تقني ومؤدلج بالمسيحيّة.

8- تأسّست عالمية الغرب وجغرافيته على أولوية المادة على الفكر، أو المصالح الماديّة على الحضارة والإنسانية، وذلك بالتوسّع وفرض نفوذه خارج جغرافيته الأصلية التي هي المكان.

9- أخذت حضارة الغرب شكل العولمة بما عرفته من مراحل تشكّل وتطوّر، ابتداء بالمرحلة الجنينيّة التي استمرّت في أوربا منذ بواكير القرن الخامس عشر، وانتهاء بمرحلة عدم اليقين التي بدأت في أواخر الستينيّات من القرن العشرين، وما تعرّضت له من أزمات في تسعينيّات القرن العشرين.

10- تعمّقت القيم ما بعد المادية في الغرب وشهدت مرحلة نهاية الحرب الباردة، و انتشار نزعة التسلّح وشيوع الأسلحة الذريّة والنوويّة، وزادت المؤسّسات الكونيّة والحركات العالميّة في الظهور بل وفي التأثير على العالم، أين صار النظام الدولي أكثر سيولة، وزاد الاهتمام بالمجتمع المدني العالمي، والمواطنة العالمية." (روبرتسون، 1998)

وقد جاء الاهتمام بالمجتمع المدني في القرن الثامن عشر أو قبله بعقود من الزمن والقائم على مجموعة من المشاعر الأخلاقية الفطرية بغرض تخفيف نفوذ المصلحة الخاصة وتقييد السّلطة السياسيّة الجزافيّة كما يرى آدم فيرغسون Adam Ferguson(1723-1816) أحد رواد فكر التنوير في القرن الثامن عشر. فقد كان ينظر "إلى المجتمع المدني على أنه شرط طبيعي للتطوّر الأخلاقي والتقدّم العقلي، بدلا من النّظر إليه باعتباره وسيلة مصطنعة من أجل البقاء. واعتقد بعض مفكّري عصر التنوير الاسكتلنديين أنهم يستطيعون إيجاد الدليل على البعد الطبيعي للمجتمع المدني في ردود أفعال البالغين، لتوفير الحماية للأطفال العاجزين، وفي النزوع الانساني العام للعيش في مجموعات اجتماعية، فشخّص فيرغسون من جهته جذور الروح الاجتماعية التي يتمتّع بها البشر في قدرة كل واحد منا على أن يضع نفسه في مكان الآخر، وعلى رؤية العالم بعيني الآخر." (إهرنبرغ، المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة، 2008) فهل يمثّل الغرب بهذا المعنى والمستوى سقفا معرفيا وحضاريا واعتباره أحسن وأفضل ما وصلت إليه البشرية؟ أم يُدرس باعتباره إمكانا حضاريا ومعرفيّا فقط من ضمن إمكانات حضارية أخرى؟ يقول ويليام دولWilliam Doll (1931-2017) في كتابه: "المنهج في عصر ما بعد الحداثة" وهو بصدد الحديث عن تطوّر الفكر الغربي: "يمكن تصنيف تاريخ الفكر الغربي إلى ثلاثة نماذج كبرى mega paradigms ما قبل الحداثة، الحداثة، وما بعد الحداثة. في هذا الإطار، تغطّي حقبة ما قبل الحداثة التاريخ الغربي المسجّل وحتى الثورات الصناعيّة والعلميّة للقرنين السابع عشر والثامن عشر، خلال هذه الحقبة الطويلة، ظهرت العديد من النماذج الفكريّة الصغيرة البدائيّة، الإغريقيّة، المسيحيّة، العصور الوسطى، النهضة والإنسانيّة. وعلى الرغم من اختلافات هذه النماذج إلاّ أنها تشترك بسمة مميّزة: انسجام كوني يتميّز بتوازن وانسجام بيئي ومعرفي ومجازي." (دول و.، 2016)

## الخاتمة:

انتهينا في بحثنا هذا إلى جملة من النتائج نوجزها في الآتي:

1. حاجتنا في دراستنا للغرب إلى ضبط المحدّدات المعرفية والمنهجية التي تساعدنا في فهمه وتفسير ممارساته وتوجّهاته واستشراف مصيره والاستفادة من خبراته وتجاربه وأخطائه.
2. لا يمكن إغفال المحدّد الاستعماري في تأسيس علم الاستغراب باعتباره مدخلا من مداخل دراسة الغرب، وما رافق تشكيله من حركة استعمارية وعدوانية واستغلالية لكل مخالف أو مغاير، بأشكال مادية عسكرية، وبأشكال ثقافية ونفسية واقتصادية وإعلامية.
3. ساهمت الخلفية الفلسفية والإيديولوجية للغرب في تحديد مساره وتبرير ممارسته في الواقع، بما يعبّر عن التحكّم الكبير لرؤية العالم الغربية في صياغة شخصية الإنسان الغربي ومنطق تفكيره وتعقّله للعالم.
4. برز المحدّد النفسي بشكل واضح في تأسيس الغرب، انطلاقا من نفسية الإنسان الغربي وذهنيته ونمط تفكيره وممارساته، ولهذا يعدّ محدّدا منهجيا في تأسيس علم الاستغراب ومدخلا مهما من مداخل فهم الغرب وتفسير نظامه المعرفي والقيمي والحضاري.
5. انطلق الغرب في بناء ذاته وتعامله مع العالم من خلفية ذهنيّة عرقيّة متحيّزة بوضوح لمنظومته الحضاريّة والتاريخيّة والجغرافيّة. ومن خصائص نفسية استعلائية، حدّدت مواقفه وتعاملاته وسلوكياته، نجم عنها توتر في العلاقة مع الآخر وارتباك في الموقف منه، أخذ شكل الصراع والصدام في غالب الاحيان.
6. جسّد الغرب من خلال فلسفته ونظمه السياسية بعض مقولاته وأفكاره ومرجعياته باللجوء إلى العنف والقوة، فاستعمر الشعوب واعتدى عليها واستغل إمكاناتها واستنزف ثرواتها ومقدراتها المادية والبشرية.
7. شكّلت المنظومة المعرفية بحمولتها الفكرية والمذهبية والدينية العامل الأبرز في رسم السياسات العامة للغرب، وفي إقامة نظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية بما هي نسق ثقافي وقيمي وحضاري.
8. تداخلت مجموعة من العوامل في بناء النظام المعرفي الغربي، من رؤيا للعالم؛ بثقافته وفلسفته ودينه وعلومه وتاريخه وقيمه ومواقفه، انصهرت جميعها في النظرية الاجتماعية الغربية، بما اتّخذته من أدوات وبما اعتمدته من آليات الهيمنة والسيطرة على العالم واستغلاله والنظر إلى الآخر كعدو يجب محاربته.

## التوصيات:

1. الاستفادة من الدراسات والأبحاث التي أجريت حول الغرب وعلم الاستغراب، وتطوير بعض مباحثها وأفكارها بما يمكننا من فهم الغرب أولا ومن تأسيس علم الاستغراب ثانيا.
2. دراسة الغرب دراسة شاملة ومنهجية وفهمه في أصوله ومكوّناته وعوامل صعوده وملامح تميّزه ونقد ثقافته وحضارته والكشف عن عدوانية ممارساته وبيان أخطائه التاريخية والراهنة.
3. بناء مناهج التعرّف على الغرب وكيفيات دراسته وتجاوزه لتلافي أسباب ضعفه وعوامل انحطاطه والسعي المبصر لفتح دروب جديدة في بناء نموذج معرفي وحضاري متميّز في الرؤية والفكر والمنهج والحياة.

## قائمة المراجع

### أولا: المراجع العربية

- إبراهيم، عبد الله: المركزية الغربية إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات (منظور نقدي)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، 1997م.

- بوحناش، نورة: العلم وجدل القيمة في الفكر الغربي المعاصر القيمة ومشروع الخلق الإنساني، طَ1، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2014م.
- حاج حمد، محمد أبو القاسم: العالمية الإسلامية الثانية جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، ط2، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1996م.
- حمدان، جمال: استراتيجيات الاستعمار والتحرير، ط1، دار الشروق، بيروت-لبنان، 1983م.
- حنفي، حسن: في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1990م.
- حنفي، حسن: مقدمة في علم الاستغراب، ط1، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة. 1991م.
- شلبي، أحمد: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية المناهج الإسلامية، ط6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1989م.
- الصباغ، ليلى: معالم تاريخ أوربا في العصر الحديث، ط2، مطبعة دار الكتاب، منشورات جامعة دمشق، 1998م.
- صيام، شحاتة: النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.
- ماضي، محمود: جذور علم الاستغراب وقفة مع الرد على المنطقيين لابن تيمية، ط1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1996م.
- مرشو، غريغوار منصور: مقدّمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته، ط1، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1416هـ، 1996م.
- المزوري، زاهدة محمد طه: صورة الشرق بين الفلسفة الغربية والاستشراق، ط1، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، 2016م.
- المسيري، عبد الوهاب: العالم من منظور غربي، العدد 602، ط1، دار الهلال، القاهرة، 2001م.
- المسيري، عبد الوهاب: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، ط1، مكتبة الشروق الدولية، 2006م.
- المسيري، عبد الوهاب: فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1998م.
- المنصوري، المبروك الشيباني: صناعة الآخر: المسلم في الفكر الغربي المعاصر، من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت-لبنان، 2014م.


## ثانيا: المراجع المعرّبة


- اشبنجلر، أوزفلد: تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: جزآن، ترجمة: أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، 1964م.
- أشكروفت، بيل وآخرون: دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي، أيمن حلمي، عاطف عثمان، ط1، المركز القومي للترجمة، العدد 1681، القاهرة، 2010م.
- إهرنبرغ، جون: المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة، ترجمة: على حاكم صالح وحسن ناظم، مراجعة فالح عبد الجبار، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، فبراير 2008م.
- بلاوت، جي. إم.: نموذج المستعمر للعالم(2) الانتشار الجغرافي وتاريخ المركزية الأوروبية، ترجمة: هبة الشايب، مراجعة: فيصل يونس، ط1، المركز القومي للترجمة، العدد 1626، القاهرة، 2010م.
- بندي، جيروم: القيم إلى أين؟ ترجمة: زهيدة درويش جبور وجان جبور، مراجعة: عبد الرزاق الحليوي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، منشورات اليونسكو، قرطاج، تونس، 2005م.
- بولياكوف، ليون: الأسطورة الآرية، منشورات كالمان ليفي، باريس،1971م.
- تودوروف، تزفيتان: الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات، ترجمة: جان ماجد جبور، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2009م،
- جران، بيتر: ما بعد المركزية الأوروبية نظرة جديدة في تاريخ العالم الحديث، ترجمة: عاطف أحمد، إبراهيم فتحي، محمود ماجد، مراجعة: رؤوف عباس، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م.
- دوربندا، أوترام: التنوير، ترجمة: ماجد موريس ابراهيم، ط1، دار الفارابي بيروت-لبنان، 2008م.
- دول، وليام: المنهج في عصر ما بعد الحداثة، ترجمة: خالد بن عبد الرحمن العوض، ط1، العبيكان للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2016م.
- راندال، جون هرمان: تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ترجمة: جورج طعمة، مراجعة: برهان دجاني، ط1، المركز القومي للترجمة، العدد 2225م.القاهرة، 2013م.

- رسل، برتراند: حكمة الغرب عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي، جزآن، ترجمة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة العددان 365، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2009م.
- روبرتسون، رونالد: العولمة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، ترجمة: أحمد محمود، نورا أمين، مراجعة: محمد حافظ دياب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م.
- ريكور، بول: صراع التأويلات دراسات هيرميبنوطيقية، ترجمة: منذر العياشي، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2022م.
- سردار، ضياء الدين: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، ترجمة: فخري صالح، مراجعة: أحمد خريس، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة)، الإمارات العربية المتحدة، 2012م.
- غور، آل: المستقبل ستة محركات للتغيير العالمي (الجزء الأول)، سلسلة عالم المعرفة، العدد423، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015م.
- فالرشتاين، إيمانويل: نهاية العالم كما نعرفه نحو علم اجتماعي للقرن الحادي والعشرين، ترجمة: الصباغ فايز ، مراجعة: هاني تابري، ط1، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، البحرين، 2017م.
- كوك، ريتشارد وسميث، كريس: انتحار الغرب، ترجمة: محمد محمود التوبة، ط1، العبيكان، المملكة العربية السعودية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2009م.
- كوكلر، هانس: تشنّج العلاقة بين الغرب والمسلمين الأسباب والحلول، ترجمة: حميد لشهب، ط1، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت-لبنان، 2013م.
- ليسي، هيو: هل العلم خلو من القيم؟ القيم والفهم العلمي، ترجمة: نجيب الحصادي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، العدد 2620، القاهرة، 2015م.
- ماجدوف، هاري: الإمبريالية: من عصر الاستعمار حتى اليوم، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، 1981م.
- ديفيد هارفي وآخرون: ما بعد الحداثة دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب، ترجمة: حارث محمد حسن وباسم علي خريسان، دار الروافد الثقافية، 2018م.
- موريس، إيان: لماذا يهيمن الغرب اليوم؟ أنماط التاريخ وما تكشفه لنا عن المستقبل، ترجمة: روان القصاص، مراجعة: محمد كمال، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت لبنان، 2018م.
- ميللر، ريال: تحويل المستقبل التوقع في القرن الحادي والعشرين، ترجمة: نسرين اللحام، منشورات اليونسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، منتدى أسبار الدولي، الرياض المملكة العربية السعودية، 2018م.


### ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية


- GOBINEAU ARTHUR.: Essai sur L'inégalité des Races humaines, Paris, 1967.
- ROBERT KNOX: the Races of Man, A Philosophical Enquiry into the Influence of Race over the Destinies of Nation, M, D, London, 1982.


### رابعا: الدوريات


- مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة صنعاء للعلوم والتقنية، جمهورية اليمن.
- مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت لبنان.